

التقريب والتقارب بين الشعوب

التقريب والتقارب بين الشعوب

سماحة الشيخ سعيد شعبان

أمير حركة التوحيد الإسلامي في لبنان

وعضو المجلس الأعلى للمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه المجاهدين المخلصين ومن سار على
دربه بإحسان إلى يوم الدين.

فالتقريب والتقارب مطلوب بين جميع شعوب الأرض لأنّ الناس من أصل واحد، وإِ تعالَى يعلن وحدة الإنسانية بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (1).

والوحدة بين المسلمين أصل من أصول الدين، والمذاهب هي التي فرقت جمعهم، وليس في القرآن حديث عن التفرق إلاّ في معرض الذم، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (2).

﴿ تعالَى يوحد ونحن نفرق! وقد

1 - سورة الحجرات: 13.

2 - سورة آل عمران: 105 - 107.

تركنا صلاى ا ﴿ عليه وآله وسلّم على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، تركنا وكتاب ا ﴿ تعالَى بين أيدينا: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاتِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ

حَكِيمٍ حَمِيدٍ (1). وكلُّ فساد في الأرض هو صناعة إنسانية ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْيَدْرِ
وَالْيَدْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذَيِّقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ (2).

الفساد هو من صنع البشر، والصالح هو من صنع الله، وكلُّ شيء يَسْجُدُ إِلَّا النَّاسَ اختلفوا، فمنهم من
سجد له، ومنهم من عصاه (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّاهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّاهُ فَمَا لَهُ
مِنْ مَّكْرَمٍ إِنَّ اللَّاهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (3) عندما يصل الحديث عن الناس يختلف الأمر بعضهم
سجد (بعضهم سجد لهواه أو لشیطانه، ومن هنا أخبرنا تعالى عن الكافرين والمشركين فقال (فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشُّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ
مِن دُونِ اللَّاهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ مُهْتَدٍ وَهُمْ لَمَّا لَا يُحَدِّثُونَ (4).

وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، شرُّ الأمور ما أحدثناه نحن وبنينا عليه العلاقات الحميمة أو
العلاقات اللادودة التي نقيم عليها خصوماتنا العديدة؛ نحن نعتقد أنَّ الحرية التي منحها الإسلام
للإنسان حرية لا تقف عند حدود، أعطاه حقَّ اختيار الجنة واختيار النار (وَقُلِ الْحَقُّ مِنَ
رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّنَا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ
نَارًا أَحْمَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي
الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (5) إنَّها حرية امتاز بها الإنسان عن
الملائكة وامتاز بها الإنسان عن كلِّ الخلائق، ومن هنا كانت الأمانة في عنق الإنسان تختلف عن الأمانة في
عنق الملائكة، فالملائكة لا يعصون إلا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والله تعالى يقول لنا: (قَالَ أَوْ
ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا يَكْرُ عَوَانُ بَيِّنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (6).

ولكنَّه ترك لنا الطاعة أو المعصية حتَّى يبتلينا، والابتلاء صعب، وتحمل الأمانة أصعب، ولكن الإنسان
قَبِلَ تَحْمِيلَ الْأَمَانَةِ، وحمل الحقَّ في الحياة (إِنَّنَا عَرْضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ

1 - سورة فصلت: 42.

2 - سورة الروم: 41.

3 - سورة الحج: 18.

4 - سورة الأعراف: 30.

5 - سورة الكهف: 29.

6 - سورة البقرة: 68.

-(43)-

وَالْجِبَالِ فَأَبْيُنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ
كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا(1).

عندما نجتمع للحديث عن التقريب نكون ما زلنا بعيدين عن الإسلام، إننا عندما نتحدث عن الوحدة نكون أقرب إلى التقوى، التقريب يكون بين المتباعدين، وإذا بحثنا عن أسباب التباعد لم نرها إلهية، إنما هي أسباب إنسانية - كما قدمنا - ولقد أسهمنا في التباعد أيما إسهام بسبب عصبية الشخصية أو القبلية أو القومية أو المذهبية والطائفية فتتقاتلوا أمرهم بآبائهم زبورا كل حزب بما لديهم فرحون(2)، نحن نفرح كثيرا بأن يتعصب بعضنا ضد الآخر، وهو الشرك الذي سماه في القرآن المؤمنين وإليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكفونوا من المشركين من الذين فرسوا دينهم وكانوا شيعاء كل حزب بما لديهم فرحون(3). إن الشرك الذي يحرم أو يحرم على من يأخذ حياته به الجنة لاقده كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال

الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ
بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِنَ أَنْصَارٍ (4).

الفكر الإنساني هو مجال للاعتقاد وهو مناط التكليف، فالله تعالى خلق الإنسان وخلق له العقل ليميز
بين المسائل، وبين الحق والباطل، فإن استخدم هذا العقل في إيجاد الفتاوى للتفريق بين الناس
فهو عقل شيطاني وإن استخدم هذا العقل من أجل معرفة الحق واتباعه، يصبح هذا العقل من نعم الله
ويكون سببا لدخول المؤمنين في رحمة الله تعالى.

لا أظن أن الأمة من الأمم أُصِبت بالفتن كما أُصِبت أممنا، مع أن الحق ما زال فيها ثابتاً
ومحفوظاً وبيئناً، ولذا استطاع الأعداء أن ينفذوا من ثغرات الخلاف إلى داخل أممنا وإلى داخل
صفوفها، وأنتم تشاهدون واقع الأمة الإسلامية على امتداد العالم الإسلامي بل على امتداد الكرة
الأرضية المسلمون اليوم هم اضعف شعوب الأرض، وتستطيع

1 - سورة الأحزاب: 72.

2 - سورة المؤمنون: 53.

3 - سورة الروم: 31 - 32.

4 - سورة المائدة: 72.

أمريكا أنّ تعبت بهم كما يعبت الهرّ بالفأرة مع المحافظة على كرامة الناس وسمعتهم وأقدارهم، تستطيع أمريكا أنّ تعبت بأكثرنا، وتستطيع إسرائيل أنّ تطوّع كلّ العرب للتعاون مع أمريكا لأنّ العرب لم يعتمدوا الإسلام عقيدة ومنهاج حياة. لذلك، أصبحت كلّ دولة من الدول تدافع عن حدودها، وما رأينا المسلمين يدافعون عن أرض الإسلام. صنع لنا الاستعمار حدوداً وقال جزيرة أبو موسى تبقى نقطة خلاف، فاختلفنا على أبي موسى، ولو أنّنا آمنّا بوحدة العالم الإسلامي لاسترحنا من قضية حلايب وأبي موسى والصحراء الكبرى، كلّ هذه ألغام زرعها الاستعمار في بلادنا من أجل أنّ نخلف على قطعة من الأرض بعد أنّ اختلفنا على الدين وفي الدين، متى كان يتحدث المسلم عن شبر من الأرض ويختلف عليه مع أخيه المسلم؟ أما جعلنا تعالى أرض الإسلام وديار الإسلام عند حدود أرض الكفر وديار الكفر، هل ما نزال نتحدّث أين يقف الجندي المسلم في حلايب، هل هي قسم من السودان أو جزء من مصر؟ إنّها الروح التي زرعها الاستعمار في عالمنا الإسلامي ونجح في زرع الألغام التي يفجّرنا متى شاء. أنظر إلى العراق كيف يمزق بعد موت الروح الإسلاميّة فالأكراد يريدون حكماً ذاتياً، والاستعمار أصبح اليوم يغار على الشيعة في الجنوب ويحاول أنّ يوفّر لهم غطاءً جويّاً ليحميهم من بأس صدام، وهو الذي صنع صداماً؛ الاستعمار صنع بنفسه صدام حسين، ونحن اليوم نقول: إنّ الحقّ مع الأكراد وإنّ العرب يظلمونهم والحقّ مع الشيعة، السنّة يظلمونهم، ومن هنا دخل الاستعمار من القوميّة والطائفية والعرقية والعنصرية إلى داخل أمّتنا، والرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «أنت على ثغرةٍ من ثغر الإسلام، فلا يوتّيننّ من قبلك» أنت حارس من حراس الإسلام، وأنت جندي من جنود الإسلام فلا تفتح البوابة التي أنت عليها للعدو.

إنّ الدفاع عن الأقاليم التي قسمها الاستعمار بعد سقوط الخلافة تشبه ما قاله المنافقون في معركة الأحزاب عندما طرح المنافقون قضية البيت الواحد لا قضية المدينة

-(45)-

الواحدة [وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا \$ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ

بُيُوتَنَا عَوْرَةً وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (1) بدأت قضية البيت
لا قضية المدينة يثيرها المنافقون، كل يريد أن يدافع عن بيته، ولو تخلّى عن حدود المدينة
الكبرى يَقُولُونَ إِنْ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ولم يقولوا إن وطننا عورة وإن المدينة مهددة
بأكملها. إنّه أسلوب النفاق الذي وصم الله تعالى به المنافقين بحماية البيوت يَقُولُونَ إِنْ
بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا إنّه الفرار من
التكليف العام وترك المسؤولية الجماعية من أجل أن تصبح المدينة بيوتاً لا بيتاً واحداً يحمي
جميع المسلمين وأرض المسلمين، من هنا نقول: بأنّه يجب أن نتخلّص من قضية البيوت والحدود والجزر
والأقاليم التي نجح الاستعمار في زرعها ألغاماً في جسد الأمة الواحدة التي كان عليها أن تؤمن
بكلام الله قبل أن تؤمن بخطط الاستعمار التقسيمية التي جعلتنا شيعاً وأحزاباً وأقاليم ودولاً
وأوطاناً.

جاء الإسلام ليحمي كلّ القوميات التي أسلمت فأصبح العربي أخ العجمي وأصبح التفاوت بينهم بالتقوى
والعمل الصالح يَبَايَهُمُ الْبِرَّ وَالْإِيمَانَ الَّذِي رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرِكُمْ وَأُنذِرَكُمْ وَجَعَلْنَاكُم مِّن
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنْ اللَّاهِ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ (2) من هنا انطلقت مسيرة الفكر الإسلامي من الأصل القرآني لا من الأصل الاستعماري الذي
قبلنا معادلاته في بلادنا وبنينا على أساسها علاقتنا الدولية والإقليمية والوطنية.

الحديث عن وحدة المذاهب حديث يطول ولا يؤدي إلى وحدة الأمة. إنّ الحديث عن وحدة الدين هو الذي
يؤدي إلى وحدة الأمة، أمّا المذاهب فهي بعدد الأفكار البشرية لأنّ الفكر البشري لا يمكن إلا أن
يكون مميّزاً كيصمات الأصابع، فكما تختلف بصمات الرجال وبصمات البشر عن بعضها فإنّ الفكر الإنساني
سيبقى متميّزاً، وإنّ مصادر الفكر البشري هي قمع وإرهاب فكري قد حرّمه الله تعالى عندما قال
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ الْمَنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمُ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ بِهِ الذِّسَّاسَ

1 - سورة الأحزاب 12 - 13.

2 - سورة الحجرات: 13.

حتّى يَكُونُوا مَوْمِنِينَ (1)، لَإِكْرَاهٍ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (2).

أُتْرِكَ لِلْفكرِ الْإِنْسَانِي أَنْ يَبْحَثَ وَيَفْكَرَ لِأَنَّ التَّكْلِيفَ الشَّرْعِيَّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْفكرِ وَسَلَامَةِ الْفكرِ، وَإِذَا أَخَذَ مَا وَهَبَ أَسْقَطَ مَا أَوْجَبَ، إِذَا مَا أَخَذَ الْعَقْلَ أَسْقَطَ التَّكْلِيفَ الشَّرْعِيَّ، أُتْرِكَ لِلْفكرِ الْإِنْسَانِي أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْحَقِّ بِطَلَاقَةٍ وَأَجْعَلُهُ بِؤْمَنَ بِالْكَفْرِ بِالْمُوروثَاتِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ مِنْ صِلَاحِهَا، أَنَا مُسْلِمٌ لِأَنَّني خَلَقْتُ مِنْ أَبَوَيْنِ مُسْلِمِينَ، هَذَا مَا قَالَهُ لِي أَحَدُ النَّصَارَى، أَنَا مُسِيحِيٌّ لِأَنَّني خَلَقْتُ - أَوْ وُلِدْتُ - مِنْ أَبَوَيْنِ نَصْرَانِيَيْنِ فَهَلْ يَجُوزُ تَقْلِيدُ الْآبَاءِ؟ إِنْ تَقْلِيدُ الْآبَاءِ مُحَرَّمٌ فِي الْإِسْلَامِ لِأَنَّ الْآبَ قَدْ يَكُونُ مَجُوسِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ مُسْلِمًا وَقَدْ يَكُونُ سَنِّيًّا أَوْ شَيْعِيًّا، وَقَدْ أَرِثْتُ عَنْ أَبِي كُلِّ الْعَاهَاتِ الْفِكْرِيَّةِ لِأَنَّه أَبِي، أَوْ أَرِثْتُ عَنِ طَائِفَتِي كُلِّ الْعَاهَاتِ الدِّينِيَّةِ لِأَنَّني مِنْ تِلْكَ الطَّائِفَةِ، ذَلِكَ أَكْبَرُ مَرَضٍ وَوَبَاءٍ أَصِيبُ بِهِ الْفكرُ الْإِنْسَانِي وَالْفكرُ الْإِسْلَامِي مِنْ تِلْكَ الْأَفْكَارِ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْدْنَا عَلَينَا مِنْ آبَائِنَا أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتُهُمْ إِنْ كُنَّا بِعَقْلٍ لَنَلْجِزَ الْآبَاءَ نَبْغِ مَا بَغَوْا لَبِغًا لِيَبْغُوا مَا بَغَوْا (3) تَقْتَدِي بِأَبِيكَ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ أَبُوكَ ضَالًّا مُضَلًّا أَتَتَّبِعُهُ؟ هَذَا مَا كَانَتْ تَقُولُهُ الْجَاهِلِيَّةُ وَكَذَلِكَ مَا أَرَسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالُوا مُتْرَفَؤُهُمْ إِنَّنَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ (4) إِنْ الصِّفَاءُ الْقُرْآنِي وَالصِّفَاءُ وَالتَّحَرُّرُ الَّذِي يَعْرِفُ الْحَفَائِقَ بِدَقَّةٍ بِخِلَافِ الْفكرِ الْوَارِثِ لِأَمْرَاضِ الْآخَرِينَ سِوَاهُ كَانُوا مِنَ الْآبَاءِ أَوْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَثِيرًا مَا يَعْلَمُونَ النَّاسَ شَيْئًا غَيْرَ الْإِسْلَامِ، كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَعْلَمُونَ تَلَامِيذَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَأَقُولُهَا بِصِدْقٍ بِأَنَّ سَبَبَ التَّبَاعَدِ فِيمَا بَيْنَنَا هُمُ الْعُلَمَاءُ قَبْلَ الْاسْتِعْمَارِ لِأَنَّ الْعَالَمَ فِي حِوزَتِهِ أَوْ فِي جَامِعَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَبْدَأُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْفَوَارِقِ بَيْنَ الطَّوَائِفِ وَلَا يَحَاوِلُ أَنْ يَحْرُرَ عَقْلَ طَلَّابِهِ وَفَكَرَ

2 - سورة البقرة: 256.

3 - سورة البقرة: 170.

4 - سورة الزخرف: 23.

(47)

طلابيه من العوالم الموروثة بل إنّه يؤكّد له على العوالم الموروثة، وإذا ما حاول أن يفكر خارج الفكر الطائفي أو المذهبي يعتبره خارجاً على الأصول الشرعية، وما أظنّ أن الموروثات الطائفية من الأصول الشرعية، بل هي من البدع الإنسانية التي أصابتنا.

كنت في الصغر أٌصليّ في المسجد العمري في بيروت، فكنت أرى الشيعة والسنة يصلّون في مسجد واحد فما تأذّي أحد منهم من أحد، كنت صغيراً ابن عشر سنين أو ابن خمس عشرة سنة أدخل مع والدي إلى المسجد العمري في بيروت، وأرى الشيوعي يتميّز في أنّه يخلع ثوبه الخارجي ويلبس ثوباً نظيفاً ويصلّي مع المصلين في بيروت، وما كنّا نشعر بأنّ هذا يجب أن يكون بعيداً عنّا أو أن نكون بعيدين عنه. هكذا عرفنا الإسلام ديناً واحداً، لذلك عندما ألقيت محاضرة في الحوزة الحجازية في قم في ما مضى قلت للطلبة وللعلماء: أتريدون أن تعرفوا من هو شيخ الضلال من شيخ الهداية؟ شيخ الضلال الذي يعلّمك بماذا تختلف مع المسلمين وشيخ الهداية هو الذي يعلّمك بماذا تتفق مع المسلمين.

هذا هو المعيار الذي على العلماء أن يضعوه نصب أعينهم عندما يربّون الأُمّة الإسلاميّة. نحن عندما أيّدنا الثورة الإسلاميّة لم نؤيّدّها لأنّها شيعيّة، بل أيّدناها لأنّها دولة إسلامية وثورة إسلامية، من هذا المنطلق جننا نؤيّدّها واعترض المعترضون وألّف المؤلفون فينا كتاباً، تعرفون كتاب «وجاء دور المجوس» أصابني كثير من الأذى ممّن ألّفوه لأنّني لي مقربة من الثورة الإيرانية، قال كتاب «وجاء دور المجوس» في الجزء الثاني «وإنّ الشيخ سعيد شعبان تشييع وزوج أخته بشيوعي، وزوج ابنته بشيوعي ولئن كان صغيراً يوم تزوجت أخته بشيوعي، فكيف يزوج ابنته بشيوعي؟» هذا ما قاله مؤلف الكتاب

وأنا أقول لكم بأنني لم أتسنن حتى أتشيع (تكبير الحاضرين)، أنا لم أتسنن حتى أتشيع، أنا أسلمت منذ البداية وعلمت أن الإسلام هو دين الله إن الدين عند الله الإسلام وما اختلاف الذين أو تروا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفروا بآيات الله فإن الله سريع الحساب (1).

1 - سورة آل عمران: 19.

-(48)-

ومن يبدتغ غير الإسلام دينا فلان يقبيل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (1).

نعم، أنا أسلمت وبكل فخر لأنني لم أحفل بتعصب السنة ولا بتعصب الشيعة، واخترقت ذلك الجدار الكثيف الذي بناه الفكر الطائفي والفكر المذهبي بين أبناء الأمة الواحدة التي كان يجب أن تعتم بحبل قبل أن تعتم بحبال المفرقين وبحبال المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، هذه الحقيقة أقولها وكثير من الحقائق التي يجب أن نتعلمها من القرآن الكريم.

إنني إذ أبارك هذا المجمع وأدعو للذين دعوا إليه، أطلب منهم أن يحققوا الوحدة في إيران قبل أن يحققوها خارج إيران، ففي إيران عدوة طوائف من المسلمين وغير المسلمين والعدل أساس الملك، ويجب أن يشعر كل مواطن في إيران بأنه أخذ نصيبه الوافي من الإسلام وهو العدل والقسط الذي أمرنا الله تعالى أن نعطي لأهل الكتاب، فكيف لا يكون ذلك مع المسلمين من إخواننا. إن الله يقول: لا يذنهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبغروا بهم وتقسطوا عليهم إن الله يحب المحسطين (2).

إنَّ القسط هو شريعة الله، والعدل أساس الملك، فعلى كلِّ مواطن في إيران أنَّ يشعر بالعدل يوزَّع بين الناس بالقسط، لا أنَّ تشعر طائفة بأنَّها مغبونة وأنَّ تشعر طائفة أخرى بأنَّها ممتازة، فإنَّ هذا يؤدِّي في النهاية إلى الانهيار، ويبقى الكفر مع العدل ولا يبقى إسلام مع الجور، وهذه قاعدة تعرفونها، ورُوي عن الإمام علي عليه السلام.

أرجو أنَّ نعلم بأنَّ الخطوة الجديدة التي يجب أنَّ نخطوها أنَّ لا نُشعر قادمًا على إيران من العالم الإسلامي بأنَّه غريب، فالسودان أزال التآشير بينها وبين الدول الإسلاميَّة والعربية (تأشيرة الدخول) لتأكيد وحدة العالم الإسلامي، فأنت تستطيع أنَّ

1 - سورة آل عمران: 85.

2 - سورة الممتحنة: 8.

-(49)-

تدخل السودان بجوازك دون أنَّ تطلب تأشيرة مسبقة، هذه خطوة إيجابية يجب أنَّ نخطوها، والجمهورية أسبق من السودان في مضمارة إعلان إسلاميَّة الثورة، وإنَّني لأرجو الله تعالى الذي وحَّدنا على كلمة التوحيد أنَّ يوحد صفوفنا وأنَّ يجمعنا وإيَّاكم على حبِّه وحبِّ نبيِّه وحبِّ عمل صالح يقرِّبنا إليه وأنَّ يخرج من قلوبنا العصبية المذهبية والقومية والعنصرية التي عبث به العابثون واستطاع أنَّ يلعب على التناقضات فيها المستعمرون، وليس الحقُّ على العدو، إنَّما الحقُّ على من جارى العدو ووافقه على خطئه وقبل أنَّ يكون عربيًّا أو كرديًّا أو بربريًّا أو فارسيًّا. الحقُّ ليس على العدو، بل الحقُّ على من ضيَّعوا الإسلام فضاغوا به، واحفظوا قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسأل الله» اللهم إنَّنا نسألك وحدة عليك تبعدنا عن الافتراق في المذاهب والقوميَّات والحدود والأوطان ربِّنا وربِّنا واجوعلا لنا مسلمين لك ومن ذُرِّيَّتينا

أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ وَأَرْزَنَا مَنَاسِكِنَا وَتُبِّ عَلَيْنَا إِنْ كُنْتَ التَّوَّابِينَ
الرَّحِيمِينَ (1).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

1 - سورة البقرة: 128.